العدد السابع والعشرون
1434 هـ / 2013 م

مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكّمة - تصدر سنويًا

1434 هجرية 2013 ميلادية

- من أسس بناء الشخصية الإنسانية من منظور تربوي إسلامي.
- المجاهد أحمد الشريف السنوسي ودوره في حركة الجهاد الليبي.
- بعض معالم الثقافة المقاصدية للإمام عبد الملك الجويني.
- نصوص للمستشرقين أنصفوا فيها الإسلام.

جهود علماء الغرب الإسلامي لمكافحة التطرف الديني
(علماء المغرب أنموذجًا)

أ. د جمعة مصطفى الفيتوري
كلية الدعوة الإسلامية - ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام الأطيبان الأزكيان الأكملان على أشرف الخلق " محمد صلى الله عليه وسلم " وعلى آله وصحبه.

وبعد ..

فإن أهم ما أسجله هنا هو ذلك الصراع العقدي والفكري الذي شهده المغرب خلال القرون العاشر والحادي والثاني عشر، متمثلا في ظهور طوائف مبتدعة تقول إحداها بالمهدية، وثانيها تقولبفكرة الإحلال والترك. وثالثها تأخذ بظاهر النص القرآني وترفض بما جاء في السنة المحمدية وأقوال الصحابة والتابعين. وفيما يلي توضيح لتلك الفرق المبتدعة.

(1) جماعة المهدية:

المهدية إحدى المبادئ الأربعة التي تقوم عليها عقائد الشيعة الكلامية وهي: عصمة الأئمة، والمهدية، والتقية، والرجعة[1].

(1) الشهرستاني، الملل والنحل 146-147. والدكتور إسماعيل العربي. معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب، الطبعة الأولى 1993 ص 242-244.

فالإمامة حق إلاهي تختار من قبل الله لأحد البشر، والإمام كالنبي معصوم من الكبائر والصغائر، وهو وسيط بين الله والبشر، ومن أحب آل البيت رفع عنه التكليف الإلهي الذي يتوقف عليه الإلزام والمسؤولية الأخلاقية[1].

والمهدية تعني ترقب الإمام المهدي الذي سيملأ الأرض عدلا بعد فترة الظلم التي سيطرت على ضمائر البشر.

وأما الرجعة فإنها تعني رجعة النبي وعلي والحسن والحسين والأئمة الباقيين إلى الدنيا بحضور المهدي للانتقام من الظالم، ثم الموت جميعا للبعث يوم القيامة.

وأما التقية فيقصد بها أن يحافظ الشيعي على نفسه وممتلكاته من بطش العدو.

إن الظروف التي ظهرت فيها فرقة الشيعة أول أمرها بالشرق العربي هي نفسها الظروف التي انبعثت فيها من جديد بالغرب الإسلامي، ولعل مرد ذلك إلى الفراغ السياسي للدولة الإسلامية، فخشية أن يتلاشى وجودهم أمام الزحف الأموي والسعدي والعلوي، جعلتهم يقولون بتلك البدعة الضالة،من أجل استمالة الناس إليهم.

إن ظهور فكرة المهدية بالغرب الإسلامي، ما هو إلا انبعاثٌ للحركة الشيعية المشرقية من جديد، ذلك أنها وجدت أرضية خصبة لنموها وانتشارها بأديم المغرب، وهذا أمر طبيعي، ونتيجة منطقية للفراغ السياسي الذي يعاني منه المغرب آنذاك، حيث تصارعت القبائل من أجل الاستحواذ على مركز السلطة، ونشر نفوذها عليه.

لقد تحدث الشيخ اليوسي على وسواس المهدية عندما يجد الإنسان في نفسه قوة إيمانية بقوله: «فيوهمه ذلك أنه قوي على أن يصدع بالحق، وبما أوهمه ذلك أنه هو الحقيق بذلك دون غيره، أو أنه المهدي المنتظر، فيتحرك على طمع أن ينقادله

(1) انظر بحث الباحث بمكتبة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، قسم الرسائل الجامعية، الذي يحمل عنوان "الإلزام الخلقي في القران الكريم".

الأمر، وينقاد له أبناء الزمان، ويحفر فيكدى[1]، ولا يعيد ولا يبدي، ثم يصير أشقر إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر، فلا يسعه على زعمه إلا فتح أبواب التأويلات والترخصات، وإسعاف الناس بعد أن قام ليتبعوه، ومن هنالك يهدم الدين عوض ما قام ليبنيه، ويخفض الحق مكان ما انتهض ليعليه، فإياك وإياك»[2].

ومن القائلين بالمهدي المنتظر أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بأبي محلي[3].

تلقى تعليمه بفاس ابتداء من سنة 980هـ، فكان ضليعا في علمي النحو والفقه. وهذا ما يفهم من قوله: «النحو صنعتي والفقه رغبتي»[4] بقي ملازما لشيخه أبي عبد الله سيدي محمد بن مبارك الزعري ثماني عشرة سنة، ثم استقر ببلدة سجلماسة بأمر من شيخه، وهناك انتحى منحى التصوف، وادعى لنفسه بأنه المهدي المتنظر، لإنقاذ المجتمع من ظلم أبناء المنصور[5].

وجاء في رسالة كتبها ابن أبي محلي بعد النجاح الذي حققه، وهي عبارة عن أجوبة يكشف فيها انتشار الظلم وفساد الأخلاق، جاء فيها ما نصه: «كلامك أيها الإنسان كله يحوم حول مقام المهدي المشهور عند العامة بالفاطمي المنتظر... فإن كنته حقا، فاصدع بما تؤمر، وبشرنا تؤجر... وللمهدي المنتظر في الأجفار... أمارات في معناه ومبناه، وزمانه ومكانه، واسمه وأبيه وأمه وأمده وأصحابه وإنسانه،

(1) أي يتعب.

(2) المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق محمد حجي، وأحمد إقبال، مطبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982م، ص: 258-259.

(3) ولد سنة 967هـ. وقتل عام 1022هـ على أثر معركة دارت بينه وبين أبي زكريا يحيى بن عبد المنعم الحاحي بالقرب من جبل جليز المطل على مراكش. ومثّل برأسه وعلّق على سور مراكش. الناصري، الاستقصا 32/6.

(4) الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى. ت جعفر الناصري ومحمد الناصري، طبعة دار الكتاب. الدار البيضاء 1956، 27/6.

(5) المصدر السابق.

فليبحث عنها فريده ... ولذلك كله سددت هذا الباب في دعوى الناس قاطبة للجهاد لئلا يطول الخصام الذي لا يرفعه إلا الصمصام»[1].

ويقول الشيخ أبو العباس أحمد التواتي[2] في رسالته المسماة «مقامة التحلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي» ما نصه :« كان الفقيه أبو محلي في أول أمره فقيها صرفا، ثم انتحل طريقة التصوف مدة حتى وقع على بعض الأحوال الربانية، ولاحتله مخابل الولاية، فانحشر الناس لزيارته أفواجا، وقصدوه فرادى وأزواجا، وبعد صيته، وكثر أتباعه... فلما سمعت بذلك ذهبت إليه وجلست عنده إلى أن وجدته يشير إلى نفسه بأنه المهدي المعلوم المبشر به في صحيح الأحاديث، فتركته وراء ونبذته بالعراء»[3].

وتحدث اليوسي عن حركة ابن أبي محلي بقوله :«وادعى أنه المهدي المنتظر، وأنه بصدد الجهاد، فاستخف قلوب العوام واتبعوه، فدخل بلد سجلماسه، وهزم عنه والي الملوك السعدية، واستولى عليه، ثم أخرجهم من درعة، ثم تبعهم إلى حضرة مراكش. وفيها زيدان بن أحمد المنصور، فهزمه وأخرجه منها»[4].

محمد التاهرتي[5]:

ادعى هذا الرجل بأنه المهدي المنتظر، واتخذ من تزنيت مقرا لدعوته الباطلة. جاء في رده على إحدى رسائل عبد الرحمن التمنارتي[6]، الذي وقف ضّد دعوته ما نصه:«أنا لؤلؤة الأصداف، أنا جبل قاف! أنا سر الحروف، أنا برز الظروف! أنا

(1) "مهراس رؤوس" مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 192 ك أول المجموع من ص 10 إلى 11.
(2) أحمد التواتي ترجمته عند التعارجي، الإعلام 87/2. واليوسي، المحاضرات.
(3) الناصري ، الاستقصا 28/6.
(4) المحاضرات 261/1.
(5) محمد التاهرتي (المهدي): ادعى المهدوية في تيزنيت حوالي سنتي (1035-1039هـ=1626-1630م). وهو شخصية مجهولة في كتب التراجم، ولم يذكره سوى معاصره القاضي عبد الرحمن التمنارتي بسبب المراسلات المتبادلة بينهما. التمنارتي، الديوان ص 11-12-13.
(6) عبد الرحمن محمد التمنارتي (ت 1060هـ=1650م) : فقيه مالكي. من مصنفاته : الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة. الحضيكي، طبقات 281/2. كنون، النبوغ المغربي 59/1. المختار السوسي، ابلبغ 3/2. ترجم لنفسه، الفوائد. حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين 413/2.

الجبل الراسخ، أنا العلم الشامخ! أنا نور الأرواح، أنا روح الأشباح! أنا الفارس الكرار أنا نصرة الأنصار، أنا شمس مرآة الأفكار!، أنا السيف المسلول، أنا برزخ البتول، أنا سليل بنت الرسول !... أنا سفينة البحر، أنا عماد القصر، أنا صاحب النصر يوم الجمعة بعد العصر!... أنا صاحب الجفر الأحمر، أنا لابس الأبيض والأخضر! أنا عنقا مغرب، أنا شمس المغرب...! أنا حوت النجم الزاهر، أنا مشتريه الظاهر! أنا قطب فلك الأسماء ومركز مدار السماء! أنا حجاب النور، وسقف البيت المعمور! أنا هدية الرحمن، ومغضب الشيطان، وهازم السلطان!»[1].

ينصح التمناراتي التاهرتي بالتوبة بل يتحداه أن يدخل ماسة التي منها سيخرج المهدي المنتظر، كما كان شائعا عند أولئك المهتمين بظهوره[2].

يقول التمناراتي في ذلك شعرا:

«تَـمَـطَّـيْـتَ مِـتْـنَ اَلْغَيِّ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ... هَـــوَاءُ بِـــذَاكَ الْـــغَـــيِّ فَـــوْقَ هَـوَاءِ

فَـهَـلاَّ رَحِـمْـتَ الـنَّـفْسَ بِالتَّوْبَةِ التَّي ... تُـــجِـــيـــرُ أَخَـا صِـــدْقٍ وَخِـــلَّ تُـــقَـــاءِ

وَأَعْـــرَضْـــتَ عَـــنْ قَـوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْخَنَا ... وَسَـــرْدِ ضَـــلاَلِ الـــدَّهْـــمِ دُونَ خَفَـاءِ

وَمَـاسَـــةُ مِـــنْـــكَ عَـنْ قَرِيبٍ فَقُـمْ لَهَا ... بَـيِّنْ لَكَ وَجْهَ الْحُكْمِ دُونَ قَضَاءِ»[3].

تحدث التاهرتى عن الإمام العادل وهو المهدي الذي به يقام الدين، ويصلح حال المسلمين، وهذا يعتبر ردا على التمناراتي:

«... بِـــهِ إِقَـامَـةُ هَـذَا الدِّينِ حَقَّقَهَا ... أَهْـــلُ الشَّـرِيـعَـةِ إِذْ بِالْحُجَّـةِ انْـتَبرَا

(1) عبد الرحمن التمناراتي. الديوان. مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقمي 5623-8841 الورقة 11 ط وحجي، الحركة 232/1.

(2) محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين. منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر مطبعة فضالة. 1390 هـ = 1977 م، 231/1.

(3) التمناراتي، الديوان، ورقة 11 و.

هَـذَا هُـوَ الْحَـقُّ لاَشَيْءَ سِـــوَاهُ فَدَعْ عَـــنْـكَ الـتَـقَـاعُـس وَالأَنْـفَاسَ مُبْتَدِرَا
صَـــارَتْ بِـهِ الْكُـتُـبُ تَعْرِيفاً لِنَاصِرِهِ فَـاسْـتَـفَّـتْ حِـبْراً يَقُولُ الحَقَّ إِذَ نَظَرَا
إِنَّ ٱلأَمِـيـــنَ رَسُـــولَ اللهِ بَـاحَ بِـــهِ إِلى ذَوِي الْـعِـلْـمِ فَـاسْأَلْ كُلَّ مَنْ مَهَرا
إِذَا قَـــالَ يُـــجْـبِـرُ هَذَا الدِّينَ نَاصِرَه بَـعْـدَ الْجَبَـابِـرَة ٱلأَنْـذَال فَانْتَظِرَا»[1]

كتب التمناراتي رسالة إلى التاهرتي يذكّره فيها بمصير أولئك الذين انتهجوا طريقه، فكان مصيرهم الهلاك والموت «وهلا اتعظت بصاحب هواك أحمد بن عبد الله[2]. الذي بلغ غبار جرأته وفتكه عنان السماء، وهول ما هولت به من الفاطمية والمهدية وخواص الأسماء، قد لعبت به عقبان جو هذا القطر الذي طمعت أن تدبر ملكه، وأن تدير في الأمور ملكه ثم ما وريت به من المريخ لنفسك. فإنك أضمرت للمسلمين ظفرا لأنه دوي نحيس»[3].

ثم ينهي التمناراتي رسالته بأن يرجع التاهرتي إلى رشده ويأمن زحف السوسيين عليه: «ثم إن انتهيت فلك السلامة، انتقت عنك الملامة و إلا فانظر أي سماء تظلك وأي أرض تقلك فإن القطر بأمرائه سيرميك بحبله وفضائه، موشك أن ينزل بك غضب الله، وكريه قضائه، فتشتت عنك حيلة معيشتك، وتتلون عليك أيام عيشتك»[4]. وإلى حد هذه المراسلة لا نعرف ما الذي فعله القدر بالتاهرتي.

محمد الكراري[5]:

من القائلين بفكرة المهدية فأخذ يدعو لنفسه بها في كل البلاد التي زارها. يقول العياشي في ذلك ما نصه : «وجال البلاد شرقا وغربا، فلم يدع المغرب

(1) التمناراتي، الديوان، ورقة 12 ط.
(2) يقصد ابن أبي محلي.
(3) عبد الرحمن التمناراتي الديوان 14 ط.
(4) المصدر السابق.
(5) فقيه علامة (ت 1064هـ) أخذ بعصا الترحال فزار الجزائر وليبيا ومصر والسعودية والعراق وتركيا وتونس. أبو سالم العياشي، الرحلة، المطبعة الحجرية فاس 1316-1898 1/40-42. القادري، نشر المثاني 2/69-70.

الأقصى ولا أفريقية وبلاد السودان، وأقام بمصر نحو سبع سنين... ودخل اليمن وادعى فيه المهدية أو ما يشاكلها فلم يتم له ذلك، ودخل العراق، ثم ذهب من هناك إلى القسطنطينية، وهو في كل ذلك يصرح بما في نفسه من الإمارة ولا يكني... ثم جاء من الروم إلى طرابلس في سفينة سنة ستين، ولقيته إذ ذاك بمصراته[1] عند ضريح الشيخ زروق، وقال لي قد أذن لي في نصرة الدين إظهار الكلم، وأخبرني بذلك من لقيته من الصالحين وقد جئت إلى هذا الشيخ أستأذنه، فأنا أنتظر الإذن من قبله»[2].

وبعد أربع سنوات يلتقي العياشي معه بفجيج، ويصرّح له بالتوبة بعد أن قصّ له رؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم في المنام، يقول العياشي في ذلك ما نصه: «ولقيته بها أوائل سنة أربع وستين، فطلب منا المساعدة على ما يحاوله، فلم يصادف عندنا ما يحب، وأظهرنا له جلية أمرنا، وأنّا لسنا ممن يتعرض لما ليس من شأنه، ولا ممن له قدرة على أقل ما يحاوله، فلما تحقق ذلك منا أظهر التأسف والتلهف على ما مضى من عمره، وسعيه في غير طائل».

فقال: «إني جلت جوانب الأرض كلها، فلم أجد من يبكي الإسلام بالعين التي أبكي بها، فو الله ما كذبت، ولا كذبت، إلاّ أني عسى أن أكون قد غلطت فيما أخبرت به، فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: أنت عالم وغني وسلطان، فأما العلم فقد حصلت منه ما قسم لي، وأما الغنى فإني لا أعدم الخمسمائة دينار وما يقاربها متى طلبتها، وأما السلطة فلعلها سلطة الآخرة، وكنت أظنها في الدنيا وأنا الآن تائب مما أنا فيه»[3].

هذا هو الكراري كما ذكره لنا العياشي، والذي ادعى المهدية، ولكنه سرعان ما رجع له عقله، ومات على ملة الإسلام.

(1) تقع مدينة مصراتة بليبيا، وهي تبعد عن مدينة طرابلس بنحو 200 كم شرقا.
(2) الرحلة ن 41/1-42.
(3) المصدر السابق، 42/1.

طائفة العكاكزة[1]:

تنسب هذه الطائفة إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي المليانى[2]تلميذ الشيخ زروق. إلا أن عبد الملك التجمعوتي[3] اعتبر هذه الصلة، لا أساس لها من الحقيقة وذلك أن الشيخ أحمد «كان رجلا من جبال الدين...فحاشاه»[4] أن يفعل مثل تلك الأعمال الضالة.

وفي هذا المعنى أيضا يقول ابن القاضي ما نصه: «وإليه رحمة الله عليه (يعني الشيخ أحمد بن يوسف) تنسب الطائفة اليوسفية بالمغرب الملعونة، وحاشاه أن يقول بمقالتهم إذ هم أحلو ما حرم الله تعالى، وقد اختلقوا بدعتهم من ترك الصلاةوالصوم واستباحة الزنى والدياثة والقيادة أذلهم الله وأخزاهم... وهي طائفة من الطوائف المعدودة بالمغرب التي خرجت عن الحق إلى الزيغ والعياذ بالله من مخالفة السنة والجماعة، أماتنا الله على اتباع السنة والجماعة الصالحة بمحمد وآله»[5].

ولعل ابن القاضي كان على حق، كما كان عبد الملك التجمعوتي عندما اعتبرا بأن الشيخ أحمد بن يوسف لا صلة له بتلك الطائفة الضالة، ذلك أن الشيخ

---

(1) تأليف في العكاكزة: الفرقة الضالة بتادلا وزمور مخطوط خ ع 1224 ك (ضمن مجموع 167-187) ومخطوط خ.ح 3822. أواخر المجموع حديثة لكنها جيدة ثم نشرت أخيرا ضمن "رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي" للأستاذة فاطمة خليل القبلي طبع دار الثقافة بالبيضاء 274/1-299. نجمي عبد الله العكاكزة، مجلة كلية الأدب بالرباط، العدد رقم 5،6 مزدوج الرباط، 1979.

(2) أحمد بن يوسف المليانى (ت 927هـ-1521م): متصوف من أهل المغرب، تنسب إليه الطريقة "اليوسفية" قال فيه صاحب لقط الفرائد: الرجل الصالح فحاشاه ان يقول ما قيل عنه "الحسن الورثيلاني، نزهة الأنظار ص: 38 و290. طبع بالجزائر 1326هـ/1908م ابن القاضي، لقط الفرائد ضمن ألف سنة من الوفيات. تحقيق محمد حجي، الرباط، 1396هـ/1976م.

(3) عبد الملك بن محمد التجمعوتي (ت 1118هـ = 1706م): قاضي سجلماسة أديب، شاعر، ثائر. ألف كتابين في الرد على الإمام اليوسي أولهما ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب، يعني أبا العباس الحلبي دفين فاس. ولما انتقده اليوسي ألف فيه رسالة ثانية سماها خلع الاطمار البوسية بدفع الاسطار اليوسية. وله أيضا رسالة في طائفة العكازين، أشار إليها مؤلف "هداية الملك العلام" اثبت نصها ص: 71-75. محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص: 190. ومحمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب 188/1.

(4) أحمد الهشتوكي: هداية الملك العلام، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1224 ك ضمن مجموع، ورقة 38.

(5) ابن القاضي، أحمد بن محمد. درة الحجال في أسماء الرجال. تحقيق محمد الأحمدي أبوالنور. 1390هـ = 1970م. 165/1.

قد صّرح بأنه: «من قال عنا ما لم نقله، يبتليه الله بالعلة والقلة والموت على غير ملة»[1].

أطلقت هذه الطائفة على نفسها عدة أسماء، كما لقبت المسلمين بأسماء، يقول اليوسي في ذلك ما نصه: «سموا أنفسهم أسماء وسموا المسلمين بأسماء أخرى ليتميز كل فريق بلقبه، فكان منهم من كان بقبائل البربر كزمور[2] يسمون أنفسهم أعكازين ويسمون المسلمين أرمين[3] ومن كان بقبائل العرب كأهل تادلا[4] يسمون الشراقة[5] ويسمون المسلمين الخراثلة ومن هذا المعنى قولهم للمسلمين إنهم أصحاب محمد، ونحن أصحاب أحمد»[6].

وهناك من اعتبر أن العكاكزة جاءت رمزا للعكاز التي اتخذته الطائفة عوضا للخرقة يقول الهشتوكي[7] عن فترة ظهور هذه الطائفة : «تكّلم فيها العلماء [أثناء] خلافة السلطان الرشيد سنة 1080هـ، واختلفوا فيهم، فمنهم من يقول هم زنادقة، ومنهم من يقول هم مرتدون يستتابون. وآل أمرهم في ذلك الزمان إلى الاستتابة، فتابوا ظاهرا بعد أن أوتي بأكابرهم المجرمين إلى الحضرة البيضاء، وسجنوا بها شهورا، ثم أطلقوا بعد التوبة»[8].

---

(1) الناصري، الاستقصا، 50/5.

(2) زمور: من قبائل الأطلس المتوسط.كانت موجودة قبل قيام مغراوة على الأدارسة. عبد العزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية : معلمة المدن والقبائل ص 215.

(3) أرمين : مفردة أرمي تعني النصارى.

(4) تادلا: منطقة تقع على سفوح الجنوب الغربي للأطلس المتوسط كانت تسمى دلا. ياقوت الحموي، معجم البلدان 5/2. عبد العزيز القشتالي، مناهل الصفا ص 91.

(5) الشراقة أو شراكة، أصل شراكة من أعراب تلمسان اصطنعهم عبد الله بن الشيخ المأمون السعدي سلطان فاس (1032/1022هـ = 1613-1623 م) واتخذ منهم جيشا خاصا يعتمد عليه وكانوا في بادئ الأمر يسكنون قصبات فاس وفنادقها ثم اخرجوا من المدينة بسبب طيشهم وفسادهم. ولما توفي عبد الله بن الشيخ عاث أعراب شراكة في ضواحي فاس فسادا. وكانوا ذوي بأس شديد. لم يتمكن العياشي من القضاء عليهم إلا بمساعدة فرسان الدلاء. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ 359/2.

(6) رسالة في العكاكزة ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1224 ك، ص 171.

(7) هو أحمد بن محمد التملي الهشتوكي (1057هـ-1127هـ) أحد تلامذة اليوسي، أديب مغربي. ترجم له الحضيكي، طبقات.

(8) "هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام" مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 190 ق. ورقة 43.

من تعاليم الطائفة الضالة إنكارهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وتركهم للصلاة والصيام، وإباحة الزنا، وأكل الميتة، وقتل المسلمين وأخذ أموالهم[1].

وقد تنكر لهذه الطائفة، وكتب عنها كل من:

1- محمد بن علي الشفشاوني الملّقب بابن عسكر[2] في مؤلفه «دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر»[3].

2- ومحمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي[4] في كتابه «مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن»[5].

3- وأحمد بن محمد أبن أبي العافية المكناسي المشهور بابن القاضي[6] في مؤلفه «درة الحجال في أسماء الرجال»[7].

4- مؤلَّف مجهول بعنوان: «تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين» وهو مخطوط خاص بفاس[8].

لقد عرضت بدعة هذه الطائفة على كثير من الفقهاء كنازلة تستوجب الفتوى، ومن الذين أفتوا فيها قاض سجلماسة عبد الملك التجمعوتي[1]، وقاضي

---

(1) اليوسي، رسالة في العكاكزة، مصدر سابق ص 172. وحجي الحركة الفكرية في عهد السعديين، 238/1.

(2) ابن عسكر محمد بن علي بن عمر الحسني الشفشاوني، المتوفى عام 986هـ = 1578 م. القادري، نشر المثاني، 329/2.

(3) المطبعة الحجرية فاس 1309 هـ ومطبعة دار المغرب بالرباط 1976.

(4) أبو حامد محمد العربي بن الشبخ أبي المحاسن الفاسي (988-1052هـ= 1580-1642م) محمد مخلوف، شجرة النور الزكية ص : 302.

(5) نشرت مرآة المحاسن بالمطبعة الحجرية الفاسية عام 1324 هـ في 238 ص من القطع المتوسط، ألفه في التعريف بوالده أبي المحاسن يوسف الفاسي، ووزع الحديث عنه في ثلاثة أبواب، وذيل الباب الثالث بذكر شبوخه البالغ عددهم 21.

(6) ابن القاضي أحمد بن محمد (ت 1205هـ/1616م) مؤرخ، علامة، رياضي. القادري، نشر المثاني، 213/1-214.

(7) نشرت درة الحجال مرتين، ثانيهما صدرت عن دار التراث بالقاهرة في ثلاثة أجزاء، بتحقيق محمد الأحمدي أبوالنور عام 1970/1390: حجم متوسط. والأولى نشرها علوش في جزئين، الرباط 1934. ذيل بها على "وفيات الأعيان" لابن خلكان: بدءا من تاريخ وفاة هذا الأخير حتى صدر المائة الهجرية الحادية عشرة، فيترجم لعدد من العلماء والأدباء حتى بلغ 1522.

(8) حجي الحركة الفكرية في عهد السعديين، 239/1 هامش 66.

مكناسة محمد بن الحسين المجاصي[2] والشيخ الحسن اليوسي الذي يقول في فتواه: «وبالجملة فيبعث في جمعهم أقوى الناس ذكاء وفطانة، وأوثقهم أمانة وعفة وديانة، فإذا جمعوا، بأن يؤخذ كل من منهم أقيمت البينة عليهم من الجيران، وسائر من عنده علم بهم من المسلمين، وفصلت الشهادة فيهم، فمن أثبتت البّينة عليه الكفر، إما بنسبة الألوهية لغير الله تعالى، أو النبوة اليوم والشريعة لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أو يجحد شيئاً مما علم من الدين ضرورة، كجحد وجوب الصلاة وصيام رمضان، أو حرمة الفواحش مثلا ونحو ذلك، أو الاستهزاء بالشريعة أو غير ذلك مما يكفر به. فإن كان ذلك على وجه الزندقه بأن يشهدوا بأنه كان قبل أن يقبض يخفي الكفر ويظهر الإيمان، فحكمه أن يقتل ولا تقبل توبته ومن كان على وجه الردة، بأن يشهد بأنه كان مسلما ثم كفر جهارا، فحكمه أن يستتاب ثلاثا، فإن تاب، وإلا قتل. ومن أثبتت عليه البّينة المعصية فقط، بأن يشهدوا أنه كان يدين بدين الإسلام في اعتقاده، إلا أنه تغلبه شهوته وهواه فيواقع المعاصي، فهذا يؤدب على معصية الله تعالى بنظر الحاكم، ويقتل على ترك الصلاة ونحوها. مما يقتل تاركه حدا أو كفرا على الخلاف فيه، بشرط ذلك كله المعروف في الفقه، وهذا كله بحسب تقدير الاحتمالات التي يمكن أن تقع. وقد بقي احتمال رابع، وهو أن يشهدوا أنه كان على دين اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو نحو ذلك خلفا عن سلف، من غير تقرر إسلام له قط، وهذا حكمه حكم الحربّيين في ضرب الجزية عليه أو القتل أو غير ذلك مما عرف. وبقي خامس، وهو أن يشهدوا أنه كان مجاهرا بكفره بين العام والخاص، غير أنه لم يرتد بنفسه، إذا لم يتقرر له إسلام قط، بل ورث ذلك عن آبائه، فإن كانوا هم المرتدين، أو ورثوا ذلك إلى ما لا يعلم، فهذا لا توجد فيه حقيقة الزندقة، لعدم الإسرار، فالحكم علية بالزندقة نظرا إلى كونه لم يتقرر

(1) فقيه، إمام، محدث، خطيب (ت 1110هـ) القادري، نشر المثاني 162/3، فتواه عند الهشتوكي في "هداية الملك العلام"، مخطوط رقم 190 م مصدر سابق ورقة 37 ط.

(2) فقيه، محقق، خطيب (ت 1103هـ) القادري، نشر المثاني 55/3، وفتواه في "أجوبة المجاصي" طبعة حجرية ص 89. والمخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 17751.

له إسلام، ونظرا إلى كون أولاد المرتد لا يلحقون بأبيهم لا وجه له بعد تسليم كونه مجاهرا»[1].

هذه هي الفتوى التي أفتاها اليوسي بخصوص طائفة العكاكزة الضالة، وهي فتوى توحي بتفهم الشيخ للنازلة، وذكر جميع الجوانب ذات العلاقة بها، بحيث لا يكون هناك التماس أو خلط في الحكم، ثم يزيد في تحليلة للنازلة، حيث ذكر الردة وحكمها فيقول: «ثم نفى الردة رأسا مع الحكم بأنه على دين لا يقّر عليه كالمتدافع. كما أن الحكم باستبقائهم ولو بالجزية بعد الحكم بالرّدة متدافع. وكذا إثبات الردة أو حكمها نظرا إلى جهاره، مع الاعتراف بأنه لا ردة له هو عن الإسلام، وأنه لا يلحق بأبيه في الردة لا وجه له. وكذا اختيار حكم الردة بعد نفي الحقيقي ترجيح من غير مرّجح والتعليل بالاحتياط سيأتي بيان اختلاله والتفريق بين من ارتد إلى دين أهل الكتاب ونحوهم وبين من ارتد إلى دين آخر، في أن الأول إذا بلغ ولده على الدين الذي ارتد إليه أبوه، يترك، بخلاف الثاني، لا يعلم له وجه يحققه، ولا نص يصدقه، نعم وقع لبعض الفقهاء التنظير في الكتابي إذا ارتد إلى غير شريعته، هل يترك عليها أم لا؟ والظاهر أن المجاهر بكفره على التحقيق ليس بزنديق، فلم يبق إلا أن يقال إنه مرتد بناء على أن الدوام كالابتداء أو التبعية لأبيه، أو يقال إنه يقّر على ما هو عليه من الكفر»[2].

ويستمر في تحليل احتمالات الردة تحليلا دقيقا، بحيث لا يترك مجالا للشك في أخذ الحكم بعد معرفة حيثياته، حيث يقول: «فأول احتمالية[3] لا يستقيم وإلا لزم وقوع الردة، فلا يلحق في الردة إذا كان صغيرا. إذ تبعية الولد لأبيه إنما تكون في دين يقّر عليه، فإن قتل الوالد على الكفر يعني الولد مسلما. فإن أظهر خلاف الإسلام أجبر على الإسلام فإن غفل حتى يبلغ، ففي إجباره على الإسلام خلاف إذا ولد قبل الردة، ثم في كونها بالسيف أو بالسوط خلاف، وإن ولد بعدها أجبر

(1) رسالة في العكاكزة، مصدر سابق ص 167. والقبلي، مصدر سابق ص 275.
(2) رسالة في العكاكزة ص 169.
(3) يعني به مرتد على الدوام، وهذا هو الوجه الأول.

وأن بلغ، وقيل إن بلغ ترك، ولا يكون كمن ارتد، قال في التوضيح[1]: وذكر في البيان عن ابن القاسم[2] أنه لا يجبر بالقتل مطلقا سواء ولد قبل الردة أو بعدها. وعن ابن كنانة[3] إنه إن لم يرجع الذي ولد بعد الردة، يقتل.وأما الوجه الثاني[4] فيمكن تقويته بأن يقال إن الفقهاء عرّفوا الردة بأنها كفر المسلم من غير أن يشترطوا كون ذلك الكفر تهودا أو تنّصرا ولا غيرهما. ثم ذكروا الخلاف في ولد المرتد : فمن يقول يترك إذا بلغ يلزمه أن هذا بلغ على هذا الكفر الذي ارتد إليه أبوه فيترك. وقد بقي احتمال سادس : وهو أن يشهدوا أنه معهم، إلا أنه لم يظهر من أقواله ولا من أفعاله شيء صريح في الدلالة على الكفر ولا عدمه في الظاهر، غير تكثيرة لسوادهم في الجملة. وقد تشاهد له معاصي يشتغل بها بحيث علم فسقه، إلا أنه لا يدري أفاسق قط أم كافر؟، فهذا يحصر عنه، فإن وجد له بعد اختبار ما به يقتضي أنه كان يعرف كفرهم ونحلتهم الفاسدة، وأنه كان يرتضيها ويشايعهم عليها فهذا يكفي في كفره وإن لم يعمل عملهم، ومن كثر سواد قوم مثل هذا فهو منهم، وإن عرف أنه إنما كان يشايعهم لإغراض دنيويه أو أسباب اتقفت، أو جُهل أمره رأسا فليترك، وُينهي عن صحبة أمثال أولئك، ولا بأس أن يزجر ويؤدب على تكثيرة لسوادهم بحسب اجتهاد الحاكم»[5].

هذا هو اليوسي الفقيه المتفهم لجميع جزئيات النازلة الذي أعطى رأيه الفقهي حولها.

وأفتى مؤلف «تبصرة الرئيس الأمين» في الطائفة الضالة العكاكزة بقوله: «فالإمام يجب عليه أن يفحص عن بدعتهم، هل هي كما ذكر أم لا؟ فإن تبّينت

(1) اعتقد انه كتاب التوضيح للشيخ خليل في شرح مختصر ابن الحاجب.

(2) هو عبدالرحمن بن القاسم أبو عبدالله العتقي المصري (132-191 م) فقيه، زاهد، من كتبه "المدونة" تخص المذهب المالكي. الأعلام، الزركلي 97/4.

(3) هو عثمان بن عيسى ابن كنانة (ت 186هـ) من فقهاء المدينة المنورة، أخذ عن الإمام مالك، المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك للقاضي عياض، تحقيق ابن تاويت الطنجي، 21/3.

(4) يقصد به أنه يقر على ما هو عليه من الكفر.

(5) رسالة في طائفة العكاكزة، مصدر سابق، ص 169-170 والقبلي، 277/1.

عنده وظهرت له كما ظهرت لغيره فليدعهم إلى السنة وترك البدعة، فإن جهلوا ما يلزمهم وادّعوا شبهة أزال عنهم تلك الشبهة وعلمهم ما يجب عليهم في الجملة، فإن أجابوا ودخلوا في السنة فليفرقهم وليشتتهم عن أوطانهم إن رأى ذلك أصلح، وإلا تركهم في أوطانهم، فإن أبوا ونصبوا دون دينهم الحرب، قاتلهم إن أظهروا الكفر وأعلنوا به أودعاهم إلى الجزية وسنّ بهم ما سّنه الصحابة- ﷺ - بالمجوس، لأنهم مثلهم أن صح الخبر إذا لا كتاب لهم»[1].

أبو عبد الله محمد الأندلسي[2].

كان من المهاجرين الأندلسيين إلى مراكش عقب سقوط غرناطة سنة 897هـ فاستقر بها، وأخذ عن جملة من المشايخ كالشيخ أبو الحسن علي بن أبي القاسم[3]، وكان «مولعا بعلم الاقتباس، وسر الحرف، وعلم الكيمياء والرياضيات والطب وعلم الهيئة والطبيعة»[4] اتخذ محمد الأندلسي لنفسه مذهبا مخالفا للمذهب المالكي الذي كان يسود المغرب والشمال الإفريقي، قال الأندلسي بظاهر النص، ورفض القياس والإجماع والسنة، وبعدم إعادة الصلاة إذا فات وقتها، وعدم الدعاء عقب دبر كل صلاة، وعدم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم في الشهادة[5].

لقد كانت نتيجة هذه التعاليم الهّدامة أن أعدم محمد الأندلسي بأمر من السلطان محمد المتوكل بن الغالب سنة أربع وثمانين وتسعمائة وصلب على باب داره برياض الزيتون بمدينة مراكش[6].

(1) مؤلف مجهول، نقلا عن محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، 240/1.

(2) مشارك في العلوم (ت 984م) ترجمته عند ابن عسكر، دوحة الناشر ص 80-81، وابن القاضي درة الحجال 35/2-37.رقم 480، والناصري، الاستقصا 50/5 وابن إبراهيم التعارجي، الإعلام، 317/4-318.

(3) محمد بن القاسم بن القاضي (ت 1040هـ): من الفقهاء. أفتى للمأمون السعدي بتسليم العرائش للأسبان. اغتيل بفاس. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ 360/2.

(4) ابن عسكر، محمد بن علي الشفشاوني. دوحة الناشر من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. المطبعة الحجرية، فاس 1309هـ = 1892م. ص 109.

(5) محمد حجي، الحركة الفكرية 242/1.

(6) الناصري، الاستقصا. 50/2 وابن القاضي، درة الحجال، 35/2. وابن عسكر، دوحة الناشر ص 109.

ويقول ابن عسكر المعاصر له ما نصه: «فانتشر صيته، وبعد ذكره، وكثر أتباعه، ووقع بينهم وبين الفقراء خطب عظيم، وانتشر بسبب ذلك شغب في العامة، وكثر التعصب ووقعت المجاهرة بالقتال وسفك الدماء... لقيته مرارا، وتكلمت معه فكان يتنصل من أكثر ما نسب إليه، ويظهر التمسك بالسنة والإضراب عن القول بالرأي والقياس، ويعيب طريقة الفقهاء»[1].

ولخطورة هذه الطائفة الضالة تصدى لها مجموعة من الفقهاء والمفكرين المغاربة نذكر منهم:

1- أحمد بن القاضي: الذي قال: «وهذه البدعة التي دعا إليها المطرود من باب فضل الله إلى غضبه، وتمسك بها أصحابه من بعده، كعبد الخالق الأمغاري المتشرف وليس بشريف... ومن تبعهم -أبعدهم الله وأذلهم- قال بمثلها بعض الأندلسيين قبله... وإنما أطلنا في ذكر هذا الخبيث وأشياعه ليتحفظ منه، لانطماس بصيرته، وإعماء عيني قلبه، حتى رأى الظلمة نورا، والنور ظلمة، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾[2]»[3].

2- مؤلف مجهول. ذكر أماكن تواجد الطائفة الضالة بقوله: «وأما الطائفة الأندلسية أدلهم وأخلى منهم الأرض فشردمة قليلون، ونبغ شيخها وذبيحها بمراكش، انتشرت بدعتها بسلا وظهور شيء منها بمكناسة الزيتون، وخفي أمرها بفاس إلا النادر، لكثرة الفقهاء والأشراف بفاس»[4] ثم ذكر فتواه حيالها ونصح السلطان بقوله: «فيجب على السلطان الإمام إذا ظفر بواحد تعزيره بما يراه من الضرب والسجن حتى يفيء إلى السنة والجماعة»[5].

---

(1) دوحة الناشر ص 109.

(2) المائدة، 41، وبقية الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

(3) درة الحجال في أسماء الرجال، 36/2-37.

(4) تبصرة الرئيس، محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، 293/1 .

(5) المصدر السابق. 243/1.

3- عبد الكبير بن عبد المجيد الكثيري عليوات: ذكر المناظرة التي وقعت بينه وبين أحد دعاة الطائفة الضالة بقوله: «وقد وقعت لي مناظرة مع بعض أكابر الطائفة الخبيثة بقرية ولي الله تعالى سيدي عمر الراعي - رحمة الله عليه- بمحضرجم غفير من المسلمين، عامتهم وخاصتهم. وكان هو الطالب لذلك، وتغيبت له في الناس ولازال يبحث عليٌ من طلوع الشمس إلى الزوال. فحينئذ دل عليّ وقيل له هذا فلان، وكان فصيح اللسان، جري الجنان، قوي النطق، فدار بنا الناس، وكانوا مهما تكلم يستلذون قوله وينصتون له فأتركه إلى حين يتنفس فأتكلم بكلمات تبطل له ذلك، حتى صار أكثر الناس ينهرونني عن جوابه، لشدة حلاوة منطقه، فقلت في نفسي: هذا لا أقهره إلا بالله، وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد، والله ناصر دينهفسكت عن جوابه حتى تنّفس مرارا ولم نجبه بشيء، فظن أنه قهرني، وظن ذلك كل من حضر، ففرح بذلك وسّر سرورا عظيما، فوفقني الله لشيء يزيد في سكره وغفلته فأخذت يده فقبلتها ومرادي لو كنت قطعتها، فقلت: له الآن يا سيدي قد ظهر الحق وانتفى الشك وأردت أن ترشدوني كما أرشدتم الّذين هداهم الله بك.

فقال: حبا وكرامة، وأي سعادة أكبر من هذه؟ انطلق معي بمنزلي.

فقلت له: هذا أمر هين خفيف كنت سمعته منك وسمعه هؤلاء الحاضرون، فأردت أن أسألك عنه بلسان الإفادة لعلك تجيبني بما يزيل شكي فينتفع به، وينفع جميع الحاضرين.

فقال: وما ذاك؟.

فقلت له: سمعت منك أنكم لا تحتاجون إلى نبينا محمد في شيء وإنما هي أنا وربي حاضر لا يغيب، فتقول يا رب، فيقول يا عبدي!.

فقال نعم! وما تنكر من ذلك؟ أليس نبيك محدثا وهو من جملة خلق الله تعالى، والله خالق كل شيء، وإليه ترجعون؟

فقال سلمت هذا؟

قلت! نعم سلمته وأنا قائل به، لكن بقي لي أن نزيد هنا بيانا!

فقال: وما ذاك ؟

قلت له: ولماذا تقرءون القرآن، وتحتج عليه بنصوصه، وهو إنما أنزل على سيدنا محمد؟

فقال: ما قرأته قط، ولا تعلمت منه حرفا، ولا أعلم أسمي في اللوح! -وهو كاذب بذلك-!

فقلت: فكيف بك بقرءاة القرآن عن ظهر قلب بغير تعليم ؟

فقال: بل الشيخ سيدي محمد الأندلسي الذي قتل بمراكش في الزمان السالف، زاره جدي، وكان عاميا لم يقرأ فضربه بكفه على كتفه فمكّنه الله من حفظ القرآن كله بتلك الضربة، وكذلك فعل معي جدي.

فقلت له: وحيث ينزل الله عليكم القرآن بأدنى سبب فاطلبوه أن ينزل عليكم قرآنا آخر غير القرآن الذي أنزله الله على سيدنا محمد وقولوا له : يا ربنا إن محمدا نبغضه فأنزل علينا من كلامك قرءآنا يشهد الناس أنه غير قرءآن محمد يا كافر!!! وأصبحت هذه الكلمة بطرشه لوجهه فانتبه الناس افترقوا فرقا ثلاثا، فرقة تضرب بالحجارة له ولا صحابه، وفرقة منهزمة، وهم أصحابه، وهو أولهم، وفرقة تجدد الإسلام ويستكثرون من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهم الذين استمال قلوبهم، وكانوا ينهرونني ويسكتونني عن جوابه قبل»[1].

وبهذه المناظرة استطاع عبد الكبير دحض خصمه الضال، الذي افترى على الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الكذب، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

(1) عبدالكبير عليوات سراج الغيوب في أعمال القلوب، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 455 ك، ص: 622-623.

كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ﴾[1]، وأن مصير هؤلاء المفترين النار ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

الخاتمة:

لقد كشف البحث عن طريق الطوائف التي مالت بالعقيدة الإسلامية عن سماحتها القرآنية مثل طائفة المهدية التي عملت إدخال بعض الأفكار المنافية لعقيدة القرآن التوحيدية. والطائفة العكازية التي عطلت كثيرا من أوامر الشريعة، بل والطعن فيها أحيانا، والطائفة الأندلسية التي أخذت بظاهر النص، ورفضت أقوال الرسول ﷺ وأقوال الصحابة. ولهذا أخذت فئة من العلماء المتضلعين في العقيدة على عاتقها الرد على المبتدعة، ودحض حججهم الواهية.

(1) العنكبوت : 68. وبقية الآية : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾.
(2) العنكبوت : 68.